الفصل الثالث

المؤرخ– المبتدئ والمصادر

يفرق المختصون في حقل الدراسات التاريخية دوماً بين نوعين من المصادر، الاولى ما يعرف بالمصادر الاولية، وتسمى (*Primary Sources*)، والثانية تأخذ تسمية المصادر الثانوية أو (*Secondary Sources*)، فاذا كانت المعلومات المتوفرة عن حادثة من حوادث الماضي يتحرى المؤرخ محتوياتها وخصائصها هي في زمن حصولها معلومات معاصرة (*Contem porary*) لزمن وقوع الحادثة ، أو انها كانت قد نقلت عن رواة هم انفسهم شهود عيان (*Eye-witness*) زمن وقوعها ، الا انها وصلت متأخرة او قريبة منها ، فهذه المعلومات تعتبر من ناحية تصنيفها مادة مستلة من مضامينها ومصادرها الاولية ، أما المصادر الثانوية فتضم في فحواها ما كتبه المؤرخون المحدثون أو الحديثون ، وما ساهموا به لحقل التاريخ من المقالات وكتب ودراسات حول مواضيع تاريخية معينة شغلت اهتماماتهم على مراحل عملهم الجامعي ، أو في غير هذا المحتوى ، وحولوا ما وقع بيدهم من حقائق ومعلومات متوفرة في تلك المصادر الاولية الى بحوث ودراسات حديثة منشورة.

ولكن هناك أيضاً مصادر أولية متقدمة من الحادثة، ومصادر أولية متأخرة بالنسبة لها مع ان الاولى قد تنقسم بدورها الى معاصرة متقدمة ومتأخرة، حسب السبق الزمني لحياة هؤلاء المصنفين، والعلاقة القائمة بين مصنفاتهم، والمواد التي تخلفت عنها كمصادر لموضوع البحث، طبقاً لبداية او نهايات الحادثة، كما ان هناك مصادر ثانوية متخصصة ومصادر ثانوية ذات خصائص عامة وواجب المؤرخ ، أثناء الاعداد للبحث في حالة صلته الاهتمام بالأولى ، بقدر ما يهمه الاطلاع على محتويات الثانية، ففي ضمن اطار البحث ، يتقرر استعمال هاتين المجموعتين من المصادر طبقاً لقيمة ونوعية المادة التي تحتويها ، فإذا كان موضوع البحث يخص **" سياسة السلطان المملوكي بيبرس في إحياء الخلافة العباسية من القاهرة" بعد زوالها على يد المغول – الايلخانيين** "، فسوف تمثل السيرة التي كتبها ابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢ هجرية / ١٢٩٣م) كاتب انشاء السلطان مصدرا أوليا متقدما ، بينما يقف كتاب السلوك عند المقريزي (ت ٨٤٥ هجرية / ١٤٤٢م) كمصدر اولى متأخر لموضوع البحث هذا الا اذا كان مثل هذا المصدر المتأخر يقتبس معلوماته من مصادر اولية متقدمة لم تصل الينا وعند ذاك ، لا يعتبر هذا في محتواه مصدراً اولياً متأخراً كتاريخ ابن الفرات ، الذي يأخذ تلك المعلومات من مصادر معاصرة مفقودة ، وفي المصادر الثانوية يمثل ما كتبه جمال الدين سرور

عن بيبرس مصدرا" ثانويا" متخصصا"، بينما لا يعتبر ما كتبه علي ابراهيم حسن عن نظم المماليك البحرية الا مصدرا ثانويا عاما بالرغم من القيمة الخصوصية لهذا الكتاب الاخير ، وهكذا بالنسبة لحالات اخرى من الامثلة المماثلة.

ان الحديث عن مجموعة المصادر الأولية يثير مسألة الكلام عن أنماطها، فالمصادر الأولية كثيرة ومتنوعة، ولها خصائص هستريوغرافية مرتبطة بكل نوع منها، ومن أشهر هذه الأنماط وأكثرها نفعا وفائدة للمؤرخين هي كتب التواريخ والآثار والنقوش والمسكوكات والوثائق، وسنتحدث باختصار عن هذه المصادر التاريخية من ناحية طبيعتها وفائدتها لعمل المؤرخ ومهنته الكتابية.

أولا: <u>كتب التواريخ</u>: أو تسمى بالآثار القلمية، وهي على أنواع:

(١) <u>التواريخ العامة:</u>

يراد بها تلك المصنفات التي يغطي بها المؤلف اخبار الزمان ابتداء من الخليقة وحتى الوقت الذي توقف فيه عن سرد الوقائع والأخبار مرتبة ترتيبا كرونولوجيا حسب السنين، ولذلك فهي تعرف بالحوليات (*Chronicles*)، فهي كتب اخبار تحوي معلومات تاريخية غنية جدا بمادتها وفي احتوائها على مجموعة كبيرة من الوثائق، ومن هنا تأخذ منزلتها كأهم الاثار القلمية بالنسبة للمؤرخ، واحسن من يمثل هذه المجموعة من المؤرخين المسلمين (تاريخ الرسل والملوك) لشيخ المؤرخين أبي جعفر الطبري (ت٣١٠/٩٢٣)، و(الكامل في التاريخ) لعز الدين ابن الاثير (ت٦٣٠هجرية/١٢٣٣م) و(تجارب الامم وتعاقب الهمم) لمسكويه (ت٤٢١هجرية/١٠٣٠م) وغيرها.

وهذه المصادر في طبيعتها تؤكد على الاسناد في الرواية، وعلى طبيعة وقائعها كأخبار وروايات فهي كتب تاريخ بالرواية، لكن مصنفين متأخرين منهم كأبن الاثير استغنوا عن الاسناد كلية واكتفوا بالمنقول من التاريخ بالدراية، وابتدعوا طرق جديدة في جمع معلومات الحادثة الواحدة.

(٢) <u>كتب التراجم</u> (*Biographical Dictionary*):

يعتبر هذا النوع من المصادر من نتاج العرب المسلمين وأهم مساهمة فكرية تقدموا بها للتراث الانساني في علم التاريخ ، فهي تراجم تضم جوانب من سير رجال الدولة العربية الاسلامية من الذين ساهموا في تطوير ملامح من احوالها السياسية والحضارية والفكرية والادارية

على مستوى الفقهاء والمحدثين والقضاة والكتاب والادباء والوزراء والخلفاء والسلاطين وغيرهم ، حيث يرتب فيها المصنف تراجم من يترجم لهم حسب حروف المعجم ، ولذلك تعرف هذه المجموعة مجتمعة بالوفيات وكتب الرجال واليها تنتسب الكتب الخاصة برجال المذاهب الأربعة أو كتب الطبقات التي تتميز بميل مؤلفيها لأصحابهم من رجال المذاهب.

ومن أشهر كتب التراجم (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) للقاضي ابن خلكان (ت٦٨١هجرية/١٢٨٢م)، إحدى الشخصيات الفكرية الهامة خلال حكم المماليك البحرية الأوائل والذي يضم مصنفه نحو (٨٢٦) ترجمة متنوعة، و(فوات الوفيات) لأبن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هجرية/١٣٦٢م) الذي يعتبر ذيلا لوفيات الأعيان، وهناك (الوافي بالوفيات) للصفدي (كتب في حدود ٧٨٠هـ/١٣٧٨م) وغيرهم، وبالنسبة لكتب الطبقات فيشتهر (طبقات الشافعية الكبرى) لتاج الدين السبكي (٧٧١هجرية/١٣٧٠م) من بين مجموعة من مؤرخي صنف الطبقات احدى ابتكارات المسلمين الهامة كذلك، الذي لم تعرف مثيله ثقافة أخرى، اضافة الى تمييز تراجمها بمادتها التاريخية.

ان كتب التراجم هذه ليست بكتب اخبار كالتي تتميز بها التواريخ العامة، بل تضم معلومات عن المترجم لهم يحتوي الواحدة منها عادة على نسبه ومآثره وانجازاته الفكرية مذكورة على شكل حكايات وقصص وروايات وأحلام، مع بعض الابيات الشعرية للتدليل على هذه المآثر والانجازات، مثلا الترجمة المطولة التي خصصها ابن خلكان للسلطان الأيوبي صلاح الدين.

وما من شك ان لهذا النمط، أو اللون، من التأليف صلته القوية بعلوم الحديث، الذي كان يبحث أصحابه عن وسائلهم (لتوثيق عدالة الرواة وضبطهم) ثم الانتقال الى البحث في الرجال وأحوالهم، الى ان شملت كل أعلام الثقافة، ورجال دولة الخلافة.

وهناك **المصادر المحلية**، أو بالأحرى **التواريخ المحلية (*Local History*)** التي تجمع في تركيبها بين طبيعة وخصائص كتب التواريخ العامة وكتب التراجم، وأحسن ما يمثل الاولى كتاب (ذيل تاريخ مدينة دمشق) من تأليف أبن القلانسي (ت ٥٥٥ هجرية / ١١٦٠م) أحد أبناء المدينة ورؤسائها المدنيين خلال حكم أسرة طغتكين، والثانية تتمثل بكتاب بعنوان (تاريخ بغداد أو مدينة السلام) للخطيب البغدادي (ت٤٦٣ هجرية / ١٠٧١ م) من بين مجاميع أخرى من ألوان كتب التواريخ.

الكتب الجغرافية :- والتي تتناول الدراسات الجغرافية للمدن والاقاليم وتقسم الى نوعين

الاول:- كتب الرحلات التي دون فيها الرحالة والجغرافيين والمستكشفين سابقا اخبار البلدان ومنها كتاب رحلة ابن جبير لابن جبير، كتاب ابن فضلان كتب وصف لرحلته كعضو في سفارة

الخليفة العباسي إلى ملك الصقالبة (بلغار الفولجا) سنة ٩٢١ م. والمسمى رسالة ابن فضلان ، ولا ننسر كتاب رحلة ابن بطوطة ...وغيرها

الثاني – كتب الدراسات الجغرافية العامة التي تدرس الاقاليم والمدن بكل تفاصيلها الجغرافية والاجتماعية والتاريخية وحتى الدينية ... وبعضها يدرس المسالك والطرق بين المدن والاقاليم ومقدار هذه المسافات ومنها كتاب صورة الارض لابن حوقل(ت ٣٦٧هـ) وكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة و كتاب مسالك الممالك للاصطخري (ت ٣٤٦هـ) الذي احتوى على خريطة جغرافية قديمة رسمها بيده للعراق

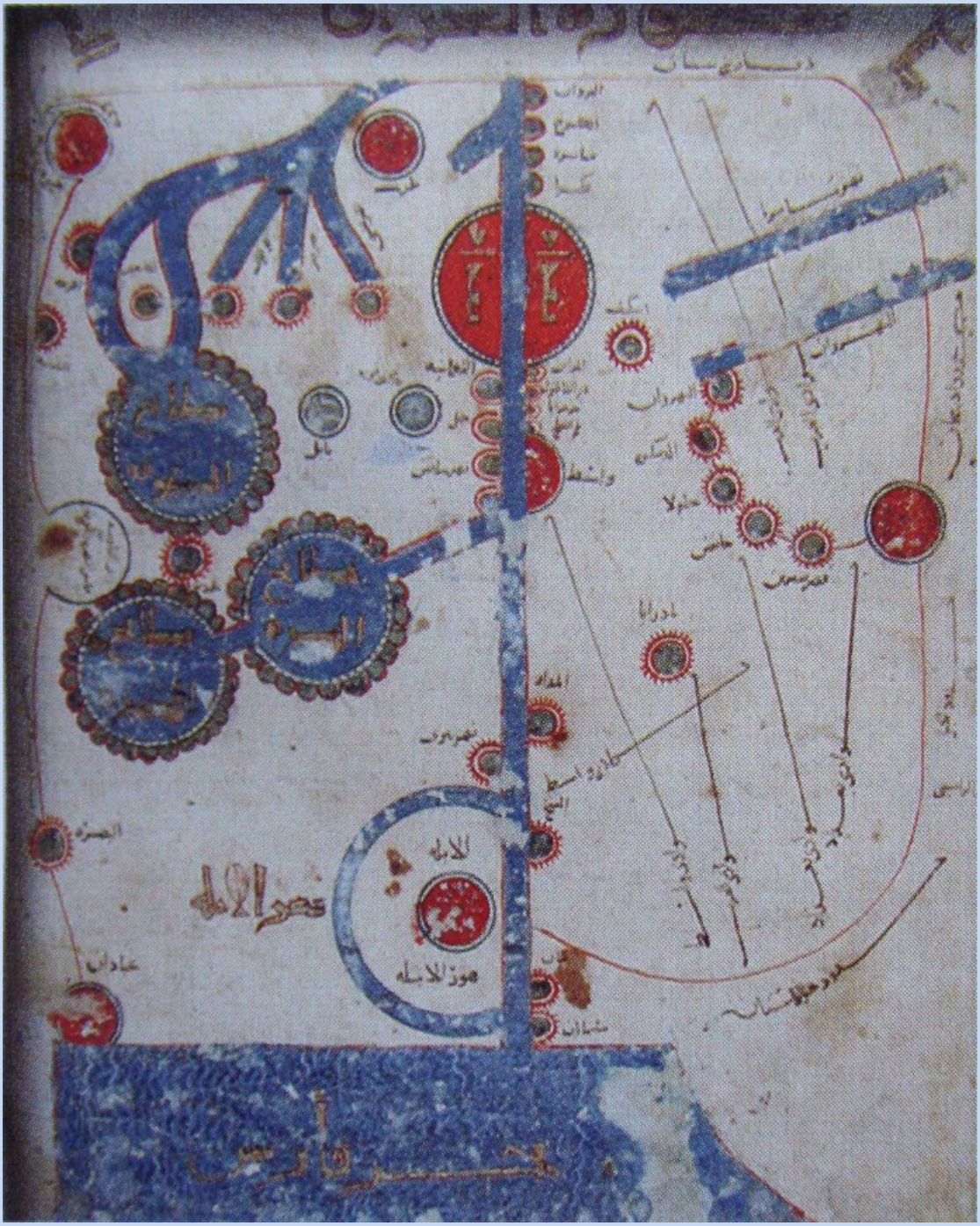

صور لخرائط ابن حوقل في كتابة صورة الارض

W,v gohv'm